نشأة التفسير بالرأي
دراسة تقويمية

ID No. 3759
(PP 34 - 46)
https://doi.org/10.21271/zjhs.24.2.3

زوراب إبراهيم مولود
فاكلتي التربية- قسم التربية الدينية/ جامعة كويه
zorab.ibrahim@koyauniversity.org

الاستلام: 2020/09/16
القبول : 2021/01/18
النـــشر: 2021/03/10

ملخص

يتطرق هذا البحث إلى بيان نشأة التفسير بالرأي من قبل الصحابة (رضي الله عنهم)، في زمن النّبي صلى الله عليه وسلم، حيث إنّ الدراسات الّتي تناولت مناهج المفسّرين قسموا التّفسير إلى مدرستي التّفسير بالأثر، والتّفسير بالرأي، وبيّنوا أن بداية ظهور التّفسير كان مقتصراً على التّفسير بالأثر عن طريق الرّواية، وأن الصّحابة رضي الله عنهم كانوا يجتنبون تفسير القرآن برأيهم، لكنّ الملاحظ أنّ الأمر يحتاج إلى المراجعة، فجاء هذا البحث ليثبت ويظهر أنّ بوادر التّفسير لم تكن مقتصرا على التّفسير بالأثر (بالرواية)؛ بل نقل التّفسير بالرأي من قبل بعض الصّحابة رضي الله عنهم زمن النّبي صلّى الله عليه وسلم، إذ إنّهم كانوا يفسّرون القرآن أحياناً وفق فَهْمِهم للآية ولم يعترض عليهم النّبي صلّى الله عليه وسلّم؛ من هنا ارتأيت أن أقوم ببيان بوادر ذلك التّفسير، واستقرائها وتحليلها، لعلّنا نتوصّل إلى حقيقة الأمر وهو أنّ التّفسير بالرّأي ظهر جنباً إلى جنب التّفسير بالأثر منذ زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم، ثمّ لمّا تناقله العلماء عن طريق الرواية أطلق عليه التفّسير بالأثر غير ما نقل عن النّبي (صلى الله عليه وسلم) الذي يعد مأثوراً من أصله لكون كلام النّبي (صلى الله عليه وسلم) وحياً كما قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: 3، 4]؛ فهو لا يتكلم من نفسه.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الرأي، النشأة، الصحابة، التابعين.

1- المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيرا، وصلى الله على نبينا محمد الذي أرسله إلى الناس كافة بشيراً ونذيرا، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا؛ أمّا بعد:

فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وكلامه أجلُّ الكلام وأعظمه؛ لذلك كان موضع اهتمام المسلمين، ولا سيَّما العلماء منهم رحمهم الله تعالى؛ حيث كانوا يتسابقون في معرفة معاني كلام الله تعالى؛ فَصُنِّفت في هذا المجال كتب كثيرة من أجل بيان مراد الله سبحانه وتعالى، حيث كانوا يتحرَّون تلك الروايات التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم، في تفسير كلمات أو آيات القرآن، وعن صحابته الكرام (رضي الله عنهم)، الذين كانوا يَرْوُون عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويفسرون آيات الله تعالى باجتهاداتهم، ليبينوا للناس مراد الله سبحانه وتعالى، وروايات التابعين الذين كانوا يَرْوُون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعن الصحابة (رضي الله عنهم)، وبما يفسرون باجتهاداتهم. وألفت كتب خاصة تهتم بهذا المجال وسميت بكتب التفاسير.

وقد قسَّم العلماء التفسير إلى قسمين، فتلك الروايات التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) سميت بالتفسير بالأثر، أو التفسير بالمأثور، والآراء التفسيرية بعد النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين سميت بالتفسير بالرأي، وذكروا أن نشأة التفسير بالمأثور يرجع إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن التفسير بالرأي كان متأخراً عن التفسير بالرأي، وأن الصحابة ما كانوا يجرؤون أن يفسروا القرآن برأيهم.

لكن بعد المراجعة والتأمل وجدنا أن التفسير بالرأي لم يكن متأخراً عن التفسير بالمأثور، بل نشأ جنباً إلى جنب التفسير بالأثر، فاجتهادات الصحابة (رضي الله عنهم) في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) تظهر بكل وضوح أن الصحابة كانوا يفسِّرون القرآن برأيهم والنبي صلى الله عليم وسلم بين أظهرهم.

فتفسير الصحابة لتلك الآيات التي لم يفسرها النبي (صلى الله عليه وسلم) يَعُدُّ تفسيراً بالرأي، سواء كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أم بعد وفاته وبعدما دخلت العجمة إلى الإسلام، وكذلك تفسير التابعين لتلك الآيات التي لم يفسرها النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفسرها صحابته الكرام (رضي الله عنهم)، يَعُدُّ تفسيراً بالرأي لا سيّما بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية، ولنا في كتب الأحاديث والتفاسير روايات تثبت ذلك.

فالذي يتناوله هذا البحث هو تلك الروايات التفسيرية التي فسرها الصحابة (رضي الله عنهم)، باجتهاداتهم وآرائهم، سواء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أو بعد وفاته، وكذلك تلك الرويات التفسيرية التي فسرها التابعين باجتهاداتهم وآرائهم، ليتبين لنا أن التفسير بالرأي ظهر في زمن النبي صلى الله عليه، ونشأ جنباً إلى جنب التفسير بالأثر ولم يكن متأخراً عنه.

2/1- أهمية البحث وسبب اختياره

تَكْمن أهمية هذا البحث في بيان نشأة التفسير بالرأي، حيث قسم المعنيون بدراسة التفاسير التفسير إلى مدرستين، مدرسة التفسير بالأثر، ومدرسة التفسير بالرأي، وجاء هذا البحث ليبين أن نشأة التفسير بالرأي لم يكن متأخراً عن نشأة التفسير بالأثر، بل نشأ جنباً إلى جنب مدرسة التفسير بالأثر، ويكشف أن بداية نشأته كان على أيد الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

3/1- أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

1. بيان المقصود بالتفسير بالرأي، وبيان مبدأ نشوئه.
2. دراسة تلك المرويات التفسيرية التي رويت عن الصحابة (رضي الله عنهم)، وعن التابعين، شرحاً وتحليلاً.

4/1- منهج البحث

1. المنهج الاستقرائي: يتبعه الباحث لاستقراء الروايات التي رويت عن الصحابة (رضي الله عنهم)، وعن التابعين، في كتب الأحاديث، وكتب التفاسير.
2. المنهج التحليلي: يتبعه الباحث لتحليل تلك المرويات التفسيرية ودراستها.
3. المنهج الاستنباطي: يتبعه الباحث لاستنباط اجتهادات الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) في تفسير آيات القرآن الكريم.

2- مفهوم التفسير ومبدأ ظهوره

يتناول هذا المبحث التعريف بالتفسير، ومبدأ ظهوره، وذلك في مطلبين:

1/2- مفهوم التفسير

التفسير لغة

من الفَسْر، وهو يأتي بمعنى: البَيَان (الجوهري، 1987م، 781/2)، تقول: "فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكَسر، ويفْسُرُه، بِالضَّمِّ، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه"، كما في قوله تعالى: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} [الفرقان/33] أي بياناً (الطبري، 2000م، 267/19). ويأتي أيضاً بمعنى الإيضاح (القزويني، 1979م، 504/4). وبمعنى كَشْفُ المغطَّى (ابن منظور، 1414ه، 55/5).

وقد رجح الزركشي أصل التفسير في اللغة إلى التَفْسِرة، حيث نراه يقول: "وأصله في اللغة من التَفْسِرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصصها، ومعناها والسبب الذي أنزلت فيه، وكأنه تسمية بالمصدر؛ لأن مصدر فعل جاء أيضا على تفعلة نحو جرب تجربة وكرم تكرمة" (الزركشي، 1957م، 248/2).

التفسير اصطلاحاً

عُرِّف التفسير اصطلاحاً بعدة تعاريف، منها:

ما عرَّفه أبو حيان بأنه: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلكَ" (أبو حيان، 1420م، 1/ 26).

وما عرَّفه الزركشي بأنه: "علم نزول الآية وسورتها وأقَاصيصها والإشارات النازلة فيها ثُمَّ ترتيب مكِّيّها ومدنيّها ومُحكَمِها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامتها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها" (الزركشي، 1957م، 148/2).

وعرفه الزرقاني بأنه: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية" (الزرقاني، 3/2).

وعرفه بعضهم بأنه: "علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها". (السيوطي، 1974م، 4/ 194).

فهذه التعاريف رغم تعددها واختلاف ألفاظها، إلا أنَّها متقاربة من حيث المعنى العام، فكلها تتفق على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله في آيات القرآن.

2/2- مبدأ ظهور التفسير

بالاطلاع على المصادر الإسلامية وبالأخص تلك التي تهتم بأحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) يتبين لنا بكل وضوح أن نشأة التفسير بشكل عام ظهر في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني أن بداية ظهوره كان في صدر الإسلام؛ إلاَّ أنه لم يكن يُسمى بعلم التفسير في ذلك العصر، ولم يكن ثمة مدارس للتفسير تُقسِّم التفسير إلى مدرسة التفسير بالأثر، ومدرسة التفسير بالرأي، بل كان عبارة عن توضيح وتفسير لبعض آيات القرآن، أو لِمَا أشكل على الصحابة في فهم بعض كلمات القرآن.

فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) أول مُفَسِّر للقرآن؛ لأنه لا أحد أكثر فَهْمَاً لهذا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولأنه كما قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: 3، 4]، فهو يتكلم بوحي الله، كما وهو خير مُطَبِّق لهذا الدين.

فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يُفسِّر ما أَجْمَله القرآن أحياناً، وذلك بما أوحي إليه من البيان، فبالنسبة للصلاة مثلاً فإنه ورد لفظ الصلاة كثيراً في القرآن؛ ولكن مع كثرتها إلاَّ أنها لم تكتمل عدد الصلوات المفروضة، وكذلك بالنسبة لعدد ركعاتها وكيفية أدائها، فكيفية أدئها وعدد ركعاتها وعدد الصلوات المفروضة إنما جاء بيانها من السنة النبوية، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، (البخاري، 1422ه، 128/1، رقم الحديث: 631) فاتضحت للمسلمين كيفية أداء الصلوات المفروضة، ووقت أدائها، وعدد ركعاتها.

وفَسَّرَ (القُوَّة) في قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: 60] بـ (الرَّمي) بقوله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ». (مسلم، 1980م، 1522/3، رقم الحديث: 167).

وكما في تفسير (الكَوْثَر) في قوله تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: 1]، حيث فَسَّره بنهر في الجنة، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر:1-3] ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ....». (مسلم، 1980م، 300/1، رقم الحديث: 53).

ثم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وحين دخل الناس في دين الله أفواجا، ازدادت حاجة المسلمين إلى معرفة معاني آيات القرآن وأحكامه، خصوصاً بعد أن دخل مع العرب إلى هذا الدين العجم –غير العرب-، لذلك خَطَا التفسير خطوة أخرى نحو التوسع، فقام بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه يفسّرون من القرآن الكريم ما يحتاج إليه المسلم: بالقرآن الكريم، ثم بسنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم ببيان أسباب نزول الآيات والسور، وبما بلغهم، وإذا احتاج الأمر فسّروه بما يوفقهم الله تعالى إليه من اجتهاد وفهم، وما يعرفونه من بيان العرب. (البغا، 1998م، 216).

ومن ثم من بعد الصحابة قام بعض التابعين ببيان وتفسير ما يَشْكل على الناس، وبذلك خَطَا التفسير خطوة أخرى نحو التوسع، وذلك بعد أن تشعّبت ديار المسلمين وبعدت أوطانهم، وفيهم العرب والعجم، وأخذ اللحن يغزو خلسة وجهرة لغة العرب وبيانهم، وازدادت حاجة المسلمين إلى معرفة أحكام القرآن الكريم وحكمه، ومراميه وأغراضه، وألفاظه وجمله، فقام

بعض التابعين يفسرون من القرآن ما يحتاج إليه المسلمون: بالقرآن الكريم، ثم بالسّنة، وببيان أسباب النزول، وبيان العرب، وفهم الصحابة، وإذا احتاج الأمر فسّروه بما يوفقهم الله إليه من اجتهاد وفهم. (البغا، 1998م، 216).

ثم تطور التفسير شيأً فشيأً وذلك مع ازدياد حاجة المسلمين إلى فهم أحكام القرآن ومعانيه، إلى أن جاء مرحلة تدوين التفاسير، حيث صار علما مستقلاً.

3- مدارس التَّفسير

قسم العلماء التفسير إلى مدرستين، أولاً: مدرسة التفسير بالأثر، أو بالمأثور، والذي يطلق عليه أيضاً مدرسة التفسير النقلي، وثانياً: مدرسة التفسير بالرأي، ويقال له أيضاً مدرسة التفسير الفعلي.

1/3- التفسير بالمأثور

الأثر لغة

بقيَّة ما ترى من كُلّ شيء وما لا يُرَى،... وأُثْرُ السَّيف: ضَرْبَتُهُ. وذهبتُ في إثْرِ فُلانٍ، وأَثرُ الحديث: أَنْ يأثِرَه قَوْمٌ عن قَوْمٍ، أي: يُحدَّثُ به في آثارهم، والمأْثُرةُ: المكْرُمة، وإنّما أُخِذَتْ من هذا، لأنّها يَأْثُرُها قَرْنٌ عن قرن، يَتَحدَّثون بها. (الفراهيدي، 236/8؛ الجوهري، 1987م، 574/2).

تعريف التفسير بالمأثور

عرَّف الدكتور الذهبي التفسير بالمأثور بأنه: "يشمل التفسير المأثور ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقِل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم"، (الذهبي، 112/1).

فالتفسير بالمأثور يقوم على أساس ما جاء تفسيره وبيانه في: القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، كما في تفسير (يَوْمِ الدِّين) في سورة الفاتحة في قوله تعالى: {مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: 4]، حيث جاء تفسيره وبيانه في سورة الانفطار قوله تعالى: {يَصْلَوْنَها يَوْمَ الدِّينِ، وَما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ، وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ، يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الانفطار: 15 - 19]، وكما في تفسير قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة: 6 - 7]. فإن تفسير {صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} جاء في سورة النساء قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ} [النساء: 69].

أو ما جاء بيانه وتفسيره عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما في تفسير كلمة (الظُلم) عندما أشكل على الصحابة تفسيرها، فقال (صلى الله عليه وسلم) قال: «لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، {لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82] بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (البخاري، 1422ه، 141/4، رقم الحديث: 3360). وكما في تفسير (القُوَّة) في قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: 60] بالرمي، بقوله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ» (مسلم، 1980م، 1522/3، رقم الحديث: 167).

أو ما جاء تفسير وبيانه من قبل الصحابة (رضي الله عنهم)، وسيأتي الحديث عنه في المبحث الآتي، أو ما جاء تفسيره وبيانه من قبل التابعين رضوان الله عليهم، ولكن على اختلاف بين العلماء في كون تفسير التابعي مصدراً من مصادر التفسير بالمأثور.

نشأة التفسير بالمأثور

أما بالنسبة لنشأة هذه المدرسة – مدرسة التفسير بالمأثور- فقد ذكر المعنيون بدراسة مدارس التفسير أنه نشأ في وقت مبكر في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان (صلى الله عليه وسلم) هو الشارح الأول لكتاب الله تعالى، وأن الصحابة ما كانوا يجرءون على تفسير القرآن وهو عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم، يتحمل هذا العبء العظيم، ويؤديه حق الأداء. (ينظر: صبحي صالح، 2000م، 289).

لذلك نستطيع أن نقول أن التفسير بالمأثور نشأ مع نزول القرآن الكريم؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يفسر للصحابة (رضي الله عنهم) ما يشكل عليهم من فهم بعض كلمات، أو آيات من القرآن الكريم.

أما بخصوص ما يقال أن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يجرؤن على تفسير القرآن والنبي صلى الله عليه بين أظهرهم، فالذي نراه ومن خلال الاطلاع على كتب الحديث أن الصحابة رضوان الله عليهم كان لهم آراء في تفسير بعض آيات القرآن والنبي (صلى الله عليه وسلم) كان بين أظهرهم، وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث الآتي.

2/3- التفسير بالرأي

الرأي لغة

الرَّأْي أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَظَرٍ وَإِبْصَارٍ بِعَيْنٍ أَوْ بَصِيرَةٍ. فَالرَّأْيُ: مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فِي الْأَمْرِ، وَجَمْعُهُ الْآرَاءُ. تقول: رَأَى فُلَانٌ الشَّيْءَ وَرَاءَهُ. وَالرِّئْيُ: مَا رَأَتِ الْعَيْنُ مِنْ حَالٍ حَسَنَةٍ، ويقال: تَرَاءَى الْقَوْمُ، إِذَا رَأَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ويقال: فَعَلَ ذلك رِئَاءَ النَّاسِ، وَهُوَ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا لِيَرَاهُ النَّاسُ، وَالرُّوَاءُ: حُسْنُ الْمَنْظَرِ (القزويني، 1979م، 2/472-473).

تعريف التفسير بالرأي

عُرِّف التفسير بالرأي بتعاريف عدة، نذكر منها:

ما عرَّفه الزرقاني، حيث قال: "المراد بالرأي هنا: الاجتهاد" (الزرقاني، 49/2).

وما عرَّفه الدكتور الذهبي، بأنه: "عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته فى ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر". (الذهبي، 183/1).

موقف العلماء من التفسير بالرأي

وقد وقع الخلاف في جواز وعدم جواز التفسير بالرأي إلى فريقين، يقول الدكتور الذهبي: "اختلف العلماء من قديم الزمان فى جواز تفسير القرآن بالرأى، ووقف المفسِّرون بإزاء هذا الموضوع موقفين متعارضين: فقوم تشدَّدوا فى ذلك فلم يجرءوا على تفسير شئ من القرآن، ولم يبيحوه لغيرهم، وقالوا: لا يجوز لأحد تفسير شئ من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً فى معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وإنما له أن ينتهى إلى ما روى النبى صلى الله عليه وسلم، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضى الله عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين. وقوم كان موقفهم على العكس من ذلك، فلم يروا بأساً من أن يفسِّروا القرآن باجتهادهم، ورأوا أن مَنْ كان ذا أدب وسيع فموسَّع له أن يُفسِّر القرآن برأيه واجتهاده. والفريقان على طرفى نقيض فيما يبدو، وكل يُعَزِّز رأيه ويُقَوِّيه بالأدلة والبراهين". (الذهبي، 183/1).

وقد استدل كلا الفريقين بالأدلة من الكتاب والسنة، تعضيداً لرأيه، وكان هناك نقاش طويل بين كلا الفريقين، إلا أننا نتجنب الخوض في هذا النقاش تجنباً للإطالة؛ لأن تفصيلها في كتاب التفسير والمفسرون للذهبي، حيث ذكر الخلاف جملة وتفصيلاً. (الذهبي، 183/1-189).

والتفسير بالرأي منه الجائز وغير الجائز، فإن كان الرأي مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه بعيداً عن الجهالة والضلالة، كان التفسير تفسيراً جائزاً، ويسمى التفسير بالرأي المحمود، أما إذا كان التفسير مستنداً على الجهالة والضلالة، وهوى النفس، كان التفسير بالرأي تفسيراً مذموماً. (الزرقاني، 49/2).

4- نشأة التفسير بالرأي

يرى الدكتور مساعد مسلم آل جعفر، والأستاذ المساعد الدكتور محي هلال السرحان في كتابهما مناهج المفسرين، أن التفسير بالرأي كان منظوراً إليه بعدم الارتياح، وإن كثيراً من الناس تحاما الخوض في التفسير بالرأي، حيث قالاً ما نصه: "أن التفسير بالرأي كان في أول أمره منظوراً إليه بعدم ارتياح وخاصة من علماء المسلمين، ويعتبرون الاشتغال بالحديث أقرب إلى الله من الانشغال في التفسير، وقالوا أن التفسير كلام الناس، والحديث كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، فتحاما كثير من الناس الخوض في التفسير بالرأي فإن وقع في ذهن أحدهم رأى في آية يفسرها ويرى أن وجه تفسيرها صحيح هو الذي ذهب إليه، وضع لرأيه إسناداً بوصله إلى أحد الصحابة أو التابعين المشهورين بالتفسير وذلك لكسب الرأي شرعية ولئلا يقال عنه إنه مفسر بالرأي، ونحن نجد في الأحاديث الموضوعة في تفسير قسم من الآيات آراء لا بأس بها ولكن وضع لها مفسروها أسانيد إلى أحد الأئمة ولا يعيب الرأي إلا السند، وإن هو رأي سليم". (مسلم والسرحان، 1980، 74).

الذي يهمنا في ما ذكراه قولهما: "فإن وقع في ذهن أحدهم رأى في آية يفسرها ويرى أن وجه تفسيرها صحيح هو الذي ذهب إليه، وضع لرأيه إسناداً بوصله إلى أحد الصحابة أو التابعين المشهورين بالتفسير وذلك لكسب الرأي شرعية ولئلا يقال عنه إنه

مفسر بالرأي"، إلَّا أنهما لم يذكرا لنا نموذجا واحداً من هذا القبيل، بأن يذكرا مثلاً أن شخصاً ما فسَّر القرآن برأيه ثم نسبه إلى أحد الصحابة، أو إلى أحد التابعين، ثم بعد التتبع والتحقق يظهر أن ذلك التفسير كان افتراءً ووضعاً نُسِب إلى ذلك الصحابي أو التابعي، ثم بعد التحقق معه أن يعترف ويقول فعلت ذلك خشية أن يقول الناس أنه فسَّر القرآن برأيه.

نعم هناك روايات تفسيرية موضوعة على بعض الصحابة (رضي الله عنهم)؛ ولكن لم يثبت أن سبب وضع هذه الروايات لِئَلا يقال مفسر بالرأي.

فقد حدث في مثل ما ذكرناه فيما يخص الحديث الموضوع الذي نسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في فضائل السور فعن نوح بن أبي مريم أنه قيل له: "من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة فقال إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسبة" (الزركشي، 1957، 432/1).

إلا أننا لم نجد مثالاً واحداً لمن فسَّر القرآن برأيه ثم نسبه إلى أحد الصحابة أو التابعين مخافة أن يقال له فَسَّرتَ القرآن برأيك فيقول فعلت ذلك خشية أن يقال لي فسَّرت القرآن برأيك.

ثم أن الصحابة (رضي الله عنهم) كان لهم آراء تفسيرية، ولمن يريد أن يفسر القرآن برأيه فهو يتبع عمل الصحابة (رضي الله عنهم)، فهو لم يأتِ بشيء جديد ومخالف لعمل الصحابة حتى يختلق حديثا وينسبه إلى أحد الصحابة.

وبالنسبة لنشاة التفسير بالرأي، فقد كان على مراحل، وكانت بوادر ظهوره في زمن النبي صلى الله علي وسلم، ثم بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم) توسع بشكل كبير، نبين ذلك في المطالب الآتية.

1/4- التفسير بالرأي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

المرحلة الأولى للتفسير بالرأي ترجع إلى عصر النبي صلى الله عليه وسلم، فإننا لو رجعنا إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وتأملنا حياة الصحابة وأحوالهم ونظرنا إلى محادثاتهم تبين لنا أنهم كانوا يتناولون قضايا متعددة ويناقشونها فيما بينهم، فوجدنا من بين هذه القضايا التي تناولوها معاني وتفسير بعض الآيات، حيث نرى أنهم كانوا يفسرون الآيات ويؤوِّلونها وفق فهمهم، ولنا في كتب الحديث شواهد وأدلة تثبت ذلك، منها:

أولاً: ما رواه عبد الرحمن بن جُبَيْرٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) عام ذَاتِ السَّلَاسِلِ، قال: فَاحْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلَكَ، فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي صَلَاةَ الصُّبْحِ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: "يَا عَمْرُو، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟" قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلَكَ، وَذَكَرْتُ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: 29] فَتَيَمَّمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا. (أحمد بن حنبل، 2001، 346/29-347، رقم الحديث: 17812، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح).

فما فعله عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أنه اجتهد رأيه في فهم هذه الآية الكريمة وتفسيرها، ومن ثم طبَّقها على نفسه؛ فتيمم وهو جُنب؛ لأنه حسب فهمه وتفسيره للآية {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} أن البرد الشديد سيؤدي بحياته، وبالتالي يكون قد قتل نفسه، وهذا الذي نهته الآية الكريمة؛ لذلك تيمم وصَلى بمن كان معه من القوم، ولم ينكر عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا الاجتهاد والرأي الذي يَعدُّ تفسيراً بالرأي.

ثانياً: ما رواه عبد اللَّهِ بن مسعود (ابن حجر، 1379ه، 294/8). (رضي الله عنه) ، قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82] شَقَّ ذَلِكَ على أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، وقالوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فقال رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: " لَيْسَ كما تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هو كما قال لُقْمَانُ لِابْنِهِ: {يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13] (البخاري، 1422ه، 18/9، رقم الحديث: 6937).

في هذا الحديث نرى أن الصحابة (رضي الله عنهم) اجتهدوا في فهم قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}، ومن ثم فسَّروها على العموم، فقالوا وأيُّنا لم يَظلِم نفسه؟ (ابن عطية، 1422، 8/1). إلا أنهم استشكلوا ذلك؛ لذلك سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فبين لهم مراد الله من الآية، والنبي (صلى الله عليه وسلم) لم ينههم عن تفهّمهم القرآن واجتهادهم في تفسير آياتها.

إلاَّ أنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) فسره بقوله «لَيْسَ كما تَظُنُّونَ» ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

وهذا يَعدُّ اجتهاداً من الصحابة (رضي الله عنهم)، وبالتالي هو تفسيرٌ بالرأي.

ثالثاً: ما رواه الشَّعْبِيِّ، عن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ (رضي اللهُ عنه)، قال: لمَّا نَزَلَتْ: {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} [البقرة: 187] مِنَ الْفَجْرِ قال له عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ: يا رسُولَ الله، إنِّي أَجْعَلُ تحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ: عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ، أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ، إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ» (مسلم، 766/2، رقم الحديث: 1090).

فعدِيّ بن حَاتِم (رضي الله عنه) فَهِمَ من هذه الآية الكريمة أن مراد الله في هذه الآية أن يُمَيِّزَ الإنسان اللون الأبيض من اللون الأسود، فإذا عَرِف الأبيض من الأسود، مَعْناه عَرفَ الليل من النهار، وما فعله هذا الصحابي إنما اجتهد في فهم الآية وفسرها برأيه على هذا النحو، مع أنه لم يكن مصيباً فيما ذهب إليه، لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) فَسَّرَها بقوله: «إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ».

رابعاً: ما رواه ابن أبي سعيد، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: تَمَارَى رَجُلَانِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءٍ، وَقَالَ الْآخَرُ: هُوَ مَسْجِدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا» (احمد ابن حنبل، 2001م، 11846/18، حديث صحيح)، ورواه أيضاً الترمذي في سننه (الترمذي، 1998م، 427/1، حديث صحيح).

يتبين بكل وضوح من هذه الرواية أن الصحابة (رضي الله عنهم) خاضوا في تفسير قوله تعالى: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: 108]، حيث اجتهدوا في تفسير هذه الآية الكريمة، ومن ثم قالوا فيها برأيهم، ولهذا نرى أن الذي فَسَّر المسجد الذي في هذه الآية على أنها مسجد قُباء فسره باجتهاده، ومن ثم هو تفسيره برأيه لهذا المسجد، وكذلك الذي فسَّره على أنه مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فسَّره برأيه، وكان مُصيبا في تفسيره؛ لأنه عندما حَضَر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأخبروه رأيهم في المسجد الوارد في هذه الآية الكريمة لم ينكر عليهم، بل بين لهم الرأي الصواب فيما فسَّراه برأيهما، بقوله (صلى الله عليه وسلم) "هو مسجدي هذا".

وهذا أيضاً دليل آخر على أن الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا يجتهدون في تفسير آيات من القرآن الكريم برأيهم في زمن النبي.

خامساً: عن الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي مُوسَى، وَعَبْدِ اللهِ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَلَمْ تَسْمَعْ لِقَوْلِ عَمَّارٍ؟ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي حَاجَةٍ فَأَجْنَبْتُ، فَلَمْ أَجِدِ الْمَاءَ فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ: "إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقُولَ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ مَسَحَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبَتِهَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ" لَمْ يُجِزِ الْأَعْمَشُ الْكَفَّيْنِ. قال شعيب الأرنؤوط: والحديث إسناده صحيح على شرط الشيخين. (أحمد بن حنبل، 2001م، 270/30).

في هذا الحديث نرى أن عمَّار (رضي الله عنه) اجتهد في فهم وتفسير قوله تعالى: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} [النساء: 43]، في كيفية التيمم، بعد أن أجنب ولم يجد الماء؛ فباجتهاده ورأيه وصل إلى أن يتمرغ في التراب، كأنه ظنَّ أن إيصال التراب إلى جميع الأعضاء واجبٌ في الجنابة، كما يُفعل في رفع الجنابة بالماء بإيصال الماء إلى جميع أعضاء الجسم، ولكن اجتهاده هذا وتفسيره لهذه الآية لم يكن صواباً، فعندما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، بين له عليه السلام المقصود من الآية، وعلمه كيفية التيمم، مع أن عمَّاراً (رضي الله عنه) لم يكن مصيباً فيما فسره وعمل به؛ ولم ينهه النبي (صلى الله عليه وسلم) عملية اجتهاده؛ وإنما أرشده إلى الصواب فقط.

وما قام به عمَّار (رضي الله عنه) إنما قام بتفسير هذه الآية برأيه.

سادساً: ومنه أن الصحابة (رضي الله عنهم) خاضوا في تفسير ومعنى الشهيد الذي ورد في القرآن الكريم كثيراً، فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»، قَالَ ابْنُ مِقْسَمٍ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِيكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ: «وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ» (مسلم، 1521/3، رقم الحديث: 165).

في هذا الحديث نرى أن الصحابة كانوا قد خاضوا في معنى من هو الشهيد في الإسلام، الذي وردت آيات كثيرة بشأنه، ثم دخل عليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، بدليل أن سعد بن أبي وقاص قال: "كُنَّا يَوْمًا عُوَّادًا لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ أَوْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: بَدْرٌ الَّذِي يَشُكُّ - فِي مَرْضَةٍ مَرِضَهَا فَكُنَّا جُلُوسًا عِنْدَهُ وَهُوَ يُغْمَى عَلَيْهِ، فَتَذَاكَرْنَا الشَّهِيدَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَقَالَ بَعْضُنَا: مَا نَرَاهُ إِلَّا مَنْ خَرَجَ بِبَدَنِهِ وَسِلَاحِهِ وَنَفَقَتِهِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَنَحْنُ فِي ذَلِكَ فَسَمِعَ

بَعْضَ مَا كُنَّا فِيهِ، وَأَمْسَكْنَا حِينَ رَأَيْنَاهُ، فَجَلَسَ وَسَأَلَ بِالْمَرِيضِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا الَّذِي كُنْتُمْ تَخُوضُونَ فِيهِ آنِفًا؟» فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ، يُسْتَشْهَدُ بِالْقَتْلِ وَالطَّاعُونِ وَالْغَرَقِ وَالْبَطْنِ وَمَوْتِ الْمَرْأَةِ جُمْعًا - مَوْتُهَا فِي نِفَاسِهَا» (الدَّوْرَقي، 1407ه، 132، رقم الحديث:72).

ففي رواية مسلم نرى بكل وضوح أن الصحابة كانوا يفسرون معنى الشهيد ومَنْ المقصود منه برأيهم واجتهادهم، وقد أبدوا آرائهم في حضور النبي (صلى الله عليه وسلم) حينما سألهم رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟». فكان رأي الصحابة (رضي الله عنهم) أن قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ.

وهذا التفسير من هؤلاء الصحابة (رضي الله عنهم) إنما قالوه برأيهم واجتهادهم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا بدوره دليل على أن التفسير بالرأي كان متدولاً بين الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

غير أن الصحابة (رضي الله عنهم) لم يكن كلهم في درجة واحدة لفهم معاني القرآن الكريم، بل تَفاوتْ مراتبهم لفهم معاني القرآن.

يقول الدكتور الذهبي: "ولو أننا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنهم لم يكونوا فى درجة واحدة بالنسبة لفهم معانى القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم فى القوة العقلية، وتفاوتهم فى معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا، أنهم كانوا لا يتساوون فى معرفة المعانى التى وُضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفى معناه على بعض الصحابة، ولا ضَيْرَ فى هذا، فإن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، ولم يدَّع أحد أن كل فرد من أُمَّة يعرف جميع ألفاظ لغتها" (الذهبي، 29/1).

2/4- التفسير بالرأي في عصر الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

المرحلة الثانية لنشأة التفسير بالرأي يعود إلى عصر الصحابة (رضي الله عنهم)، بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) والتحاقه بالرفيق الأعلى، حيث كان للصحابة (رضي الله عنهم) دور كبير في خدمة القرآن الكريم، خصوصاً من ناحية جمعه، وبيان معانيه للمسلمين، بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجاً، ومع ازدياد حاجة المسلمين إلى بيان معان القرآن بسبب إسلام أقوام كثيرة من غير العرب، فكان على الصحابة (رضي الله عنهم) بيان ما يَشكل على الناس من فهم بعض آيات القرآن الكريم.

وكان للصحابة الكرام منهجهم في تفسير القرآن الكريم، فكانوا (رضي الله عنهم) إذا لم يجدوا تفسير آية من القرآن، وفي السنة النبوية، كانوا يجتهدون في تفسيرها برأيهم، شريطة أن يملك الصحابي أوضاع اللغة وأسرارها، ومعرفة عادات العرب، ومعرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب، ومعرفة أسباب نزول الآيات، وقوة الفهم وسعة الإدراك. (الحاجي، 2007م، 193).

وقد اشتهر بالتفسير مجموعة من الصحابة (رضي الله عنهم)، كما قال السيوطي: "اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير، أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب والرواية عن الثلاثة نزرة جدا وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر (رضي الله عنه) للحديث ولا أحفظ عن أبي بكر (رضي الله عنه) في التفسير إلا آثارا قليلة جدا لا تكاد تجاوز العشرة، وأما علي فروي عنه الكثير وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال: شهدت عليا يخطب وهو يقول: "سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل" (السيوطي، 1974، 233/4).

وقد يعود قلة الرواية عن أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) أنهم كانوا في وسط أغلب أهله علماء بكتاب الله، واقفون على أسرار التنزيل، عارفون بمعانيه وأحكامه، مكتملة فيهم خصائص العروبة. (أيوب، 2004م، 139).

وفي هذه المرحلة ازداد التفسير بالرأي من قبل الصحابة، مع ازدياد حاجة المسلمين لبيان وتفسير معاني آيات القرآن الكريم، فمن النماذج التي فسرها الصحابة (رضي الله عنهم) آيات من القرآن الكريم برأيهم في هذه المرحلة:

أولاً: إن أبا بكر (رضي الله عنه) كان يفسر القرآن أحياناً برأيه، فعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رضي الله عنه) ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [فصلت: 30] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا} [الأنعام: 82] إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ؟ فَقَالُوا: الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَمْ يَلْتَفِتُوا وَقَوْلُهُ: وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ بِخَطِيئَةٍ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:

«حَمَلْتُمُوهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْمَحْمَلِ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى إِلَهٍ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أَيْ بِشِرْكٍ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" قال الذهبي: حديث صحيح. (الحاكم، 1990، 478/2).

ففي هذه الرواية نرى أن أبا بكر (رضي الله عنه) استفسر عن تفسير قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [فصلت: 30] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا} [الأنعام: 82]. فكان جواب الذين سألهم أبو بكر عن هذه الآيات أن قالوا: "الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَمْ يَلْتَفِتُوا وَقَوْلُهُ: وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ بِخَطِيئَةٍ" وهذا الجواب إنما كان اجتهاداً منهم، وبالتالي هو تفسير بالرأي لهذه الآيات، ولاشك إن الذين سألهم أبو بكر (رضي الله عنه) كان أكثرهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إلا أن هذا الجواب كما يبدو لم يكن رأياً صائباً عند أبي بكر (رضي الله عنه) ؛ لذلك قال: "حَمَلْتُمُوهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْمَحْمَلِ" ومن ثم فسَّرها أبي بكر (رضي الله عنه) بقوله: " ثُمَّ اسْتَقَامُوا وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى إِلَهٍ غَيْرِهِ" وهذا التفسير من أبي بكر إنما هو اجتهاده في فهم هذه الآية، وهو تفسير بالرأي، وهذا دليل على أن الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا يفسرون القرآن برأيهم.

أما الشطر الثاني من تفسيره لقوله تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا} [الأنعام: 82]، بقوله: "وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أَيْ بِشِرْكٍ" فهذا من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، عندما سُئل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن معنى قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82] حيث فسرها بأنه (الشرك) ولهذا لم ننسب هذا التفسير لأبي بكر (رضي الله عنه) . فعن عبد الله (رضي الله عنه) ، قال: لما نزلت هذه الآية: {الذين آمنوا ولم يلبسوا} [الأنعام: 82] إيمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: {يا بني لا تشرك بالله إن الشرك} [لقمان: 13] لظلم عظيم" (البخاري 1422ه، 18/9، رقم الحديث: 6937).

ثانياً: عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ (رضي الله عنه) ، يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيمَ تَرَوْنَ [ص:32] هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ} [البقرة: 266]؟ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ: «قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لاَ نَعْلَمُ»، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَالَ عُمَرُ: «يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلاَ تَحْقِرْ نَفْسَكَ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلاً لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: «أَيُّ عَمَلٍ؟» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: «لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ» (البخاري، 1422ه، 31/6، رقم الحديث: 4538).

فلو تأملنا هذه الرواية، نجد أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سأل عن تفسير قوله تعالى: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ}، ونرى أن ابن عباس (رضي الله عنهما) فسره بـ (ضُرِبت مَثلاً لعَملٍ)، ولكن لم يبين أي نوع من الأعمال، بل قاله بصيغة المبني للمجهول، وهذا اجتهاد من ابن عباس (رضي الله عنهما).

ثم نرى أن عمر بن الخطاب يُكمل تفسير ما ذهب إليه ابن عباس (رضي الله عنهما) بقوله: "لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ" وهذه التكملة من عمر (رضي الله عنه) إنما هي اجتهاده، وبالتالي هو تفسيره لهذه الآية الكريمة، وهذه بدوره دليل على أن الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا يفسرون القرآن برأيهم.

ثالثاً: ما رواه مرة بن شراحيل، عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) ، في قول الله عز وجل "{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} [آل عمران: 102] قال: أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى"، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" (الحاكم، 1990، 323/2، رقم الحديث: 3159، قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم).

في هذه الرواية نرى أن ابن مسعود (رضي الله عنه) وهو من المفسرين المشهورين من الصحابة فسَّر قوله تعالى: {اتقوا الله حق تقاته} في الآية {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: 102] بأن المراد بها "أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى" وهذا التفسير من ابن مسعود (رضي الله عنه) إنما هو من اجتهاده، وبالتالي هو تفسير بالرأي بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: ومن الآيات التي فسرها ابن عباس (رضي الله عنهما) برأيه واجتهاده فهي كثيرة، نذكر بعضاً منها:

في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ} [السجدة: 27]، قال ابن عباس: {الجرز} «التي لا تمطر إلا مطرا لا يغني عنها شيئا» (البخاري، 1422ه، 115/6).

وفي قوله تعالى: {كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا} [البقرة: 264]. فسَّر {صلدا} بقوله: «ليس عليه شيء» (البخاري، 1422ه، 31/6).

وفي تفسير كلمة {تسيمون} في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} [النحل: 10]، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): "{تسيمون} «ترعون شاكلته ناحيته»" (البخاري، 1422ه، 82/6).

وفي تفسير قوله تعالى: {كَمَآ أَنزَلنَا عَلَى المُقتسَمِينَ ٱلَّذِينَ جَعَلُوْا اَلقُرءَانَ عِضِينَ} [الحجر: 91]، قال: "{كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين} قال: "المقتسمون اليهود والنصارى، وقوله {جعلوا القرآن عضين} قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض" (الحاكم، 1990م، 387/2، رقم الحديث: 3354، قال الذهبي: أخرجه البخاري).

وهذه الآراء في تفسير هذه الآيات التي عرضناها لابن عباس (رضي الله عنهما) إنما قاله برأيه في تفسير هذه الآيات الكريمة؛ لأننا بعد التحقق في التفاسير وكتب الحديث وجدنا أن هذا الآراء والتفاسير لم يقله سوى ابن عباس، والمفسرون يَعْزَون هذا الآراء والتفاسير إلى ابن عباس (رضي الله عنهما).

3/4- التفسير بالرأي في زمن التابعين (مرحلة عصر التابعين)

تبدأ المرحلة الثالثة للتفسير بالرأي في عصر التابعين، حيث في هذه المرحلة ازدادت حاجة الناس إلى فهم آيات القرآن الكريم؛ يعود ذلك لازدياد دخول الناس إلى هذا الدين من جهة، وإسلام أقوام من غير العرب، الذين لم يكونوا يفهمون نصوص القرآن كما تفهمه العرب من جهة أخرى.

فكان للتابعين دور كبير في بيان وتفسير ما يَشكل على الناس من فهم بعض آياته؛ ذلك لأن التابعين عاشوا عصر الصحابة وتتلمذوا على أيديهم، فهناك كثير من الآيات لم تُفَسِّر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في زمن الصحابة. يقول الدكتور الذهبي: "إن ما نُقِل عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعن الصحابة من التفسير لم يتناول جميع آيات القرآن، وإنما فسَّروا ما غمض فهمه على معاصريهم، ثم تزايد هذا الغموض - على تدرج - كلما بَعُد الناس عن عصر النبى (صلى الله عليه وسلم) والصحابة، فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أن يكملوا بعض هذا النقص، فزادوا فى التفسير بمقدار ما زاد من غموض" (الذهبي، 76/1).

وكان للتابعين منهجهم في تفسير آيات القرآن الكريم. فكان جل اعتمادهم في تفسير القرآن على تفسير القرآن بالقرآن أولاً، وعلى ما روى عن الصحابة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثانياً، وعلى ما روي عن الصحابة (رضي الله عنهم) ثالثاً، فإذا لم يجدوا تفسيرها من هذه المصادر الثلاثة فسروها بطريق الاجتهاد والرأي. (النقراشي، 1986م، 31/1)

وقد اشتهر كثيرون من التابعين بتفسير القرآن الكريم، يفسرونه على هذا المنهج.

يقول القِنّوجي: "وأما المفسرون من التابعين فمنهم أصحاب ابن عباس وهم علماء مكة المكرمة، ومنهم مجاهد بن جَبْر المتوفى سنة ثلاث ومائة واعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري، وسعيد بن جُبير المتوفى سنة أربع وتسعين، وعكرمة مولى ابن عباس المتوفى بمكة سنة خمس ومائة، وطاوس بن كيسان اليماني المتوفى سنة ست ومائة، وعطاء بن أبي رباح المكي المتوفى سنة أربع عشرة ومائة. ومنهم أصحاب ابن مسعود وهم علماء الكوفة كعَلْقَمَة بن قيس المتوفى سنة اثنتين ومائة، والأسود بن يزيد المتوفى سنة خمس ومائة، ومنهم أصحاب زيد بن أسلم كعبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس، ومنهم الحسن البصري" (القِنّوجي، 1992م، 31/1).

وفيما يأتي نذكر بعضاً مما فَسَّره بعض هؤلاء التابعين القرآن بأرائهم واجتهادهم:

أولاً: مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ

بجانب ما كان يروي مجاهد الروايات عن الصحابة (رضي الله عنهم)، خصوصاً الروايات التفسيرية، فقد كان يجتهد في تفسير تلك الآيات التي لم يجد تفسيرها عند الصحابة (رضي الله عنهم)، فيفسرها برأيه، يتبين لنا بكل وضوح إذا تمَعنا في كتب الحديث والتفاسير، وله في هذا الباب آراءٌ كثيرة في تفسير القرآن الكريم، نذكر بعضاً منها:

وقال في تفسير قوله تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} [البقرة: 14]، {إلى شياطينهم} أي: «أصحابهم من المنافقين والمشركين» (البخاري، 1422ه، 18/6).

وقال في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الحجرات: 1]: {لا تقدموا} «لا تفتاتوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى يقضي الله على لسانه» (البخاري، 1422ه، 137/6).

حيث نراه فَسَّرَ قوله تعالى: {لا تقدموا} بـــ "لا تفتاتوا على رسول الله صلى عليه وسلم حتى يقضي الله على لسانه". وهذا اجتهاد من مجاهد في تفسير هذه الآية الكريمة، حيث فسرها برأيه.

وفي تفسير قوله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران: 14]، قال: {والخيل المسومة} «المطهمة الحسان» (البخاري، 1422ه، 33/6).

وقال في تفسير قوله تعالى: {قوا أنفسكم وأهليكم} [التحريم: 6]، «أوصوا أنفسكم وأهليكم بتقوى الله وأدبوهم» (البخاري، 1422ه، 158/6). وهذا التفسير منه إنما قاله برأيه.

وهذه الآراء في تفسير هذه الآيات التي عرضناها لمجاهد إنما قالها برأيه في تفسير هذه الآيات الكريمة؛ لأننا بعد التحقق في التفاسير وكتب الحديث وجدنا أن هذه الآراء والتفاسير لم يقلها سوى مجاهد، والمفسرين يَعْزَون هذه الآراء والتفاسير إلى مجاهد.

ثانياً: عِكْرِمَة مولى ابن عباس.

ومن الآيات التي فسرها عِكرمة برأيه واجتهاده:

في تفسير قوله تعالى: {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} [آل عمران: 125]، قال: {من فورهم} «من غضبهم يوم بدر» (البخاري، 1422ه، 33/6).

وفي تفسير قوله تعالى: {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا } [النساء: 98] قال: "(لا يستطيعون حيلة) قال: نهوضا إلى المدينة، (ولا يهتدون سبيلا) طريقا إلى المدينة" (ياسين، 1999، 99/2).

وقال في تفسير قوله تعالى: {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء: 219] قال: قائما وساجدا وراكعا وجالسا. (ياسين، 1999، 21/4).

وهذه الآراء في تفسير هذه الآيات التي عرضناها لعِكْرِمَةُ مولى ابن عباس إنما قالها برأيه في تفسير هذه الآيات الكريمة؛ لأننا بعد التحقق في التفاسير وجدنا أن هذه الآراء والتفاسير لم يقلها سوى عَكرِمة، والمفسرين يَعْزَون هذه الآراء والتفاسير إليه.

ثالثاً: الحَسن البَصري.

وللحسن البصري آراء تفسيرية كثيرة، نذكر بعضاً منها:

في تفسير قوله تعالى: {وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ} [يس: 41]، قال: "{في فلك} «مثل فلكة المغزل» (البخاري، 1422ه، 96/6).

وفي تفسير قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } [الفرقان: 74]، قال الحسن: "{هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين}: «في طاعة الله وما شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى حبيبه في طاعة الله»" (البخاري، 1422، 109/6).

وقال في تفسير قوله تعالى: {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} [التكوير: 6]، {سجرت}: «ذهب ماؤها فلا يبقى قطرة» (البخاري، 1422ه، 166/6).

وفي تفسير قوله تعالى: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا} [المزمل: 12]، قال الحسن: "{أنكالا} «قيودا»" (البخاري، 1422ه، 161/6).

وهذه الآراء في تفسير هذه الآيات التي عرضناها للحسن البصري إنما قالها برأيه في تفسير هذه الآيات الكريمة؛ لأننا بعد التحقق في التفاسير وجدنا أن هذه الآراء والتفاسير لم يقلها سوى الحسن البصري، والمفسرين يَعْزَون هذه الآراء والتفاسير إليه.

فهناك نماذج كثيرة من الآيات التي فسرها هؤلاء التابعون برأيهم واجتهادهم، إلا أننا نكتفي بهذا القدر تجنباً للإطالة.

ثم لما جاء عصر التدوين، فى أواخر عهد بنى أمية، وأول عهد للعباسي (الذهبي، 104/1)، ودوِّنت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، دوِّنت هذه الآراء التفسيرية لهؤلاء الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم)، مع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، من غير التفصيل لما كان يجتهد الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) في تفسير الآيات برأيهم.

يقول الدكتور الذهبي: "ثم بعد عصر الصحابة والتابعين، خطا التفسير خطوة ثانية، وذلك حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التى اشتمل عليها الحديث، فلم يُفرد له تأليف خاص يُفسِّر القرآن سورة سورة، وآية آية، من مبدئه إلى منتهاه، بل وُجد من العلماء مَن طوَّف فى الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ما رُوِى فى الأمصار من تفسير منسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم، أو إلى الصحابة، أو إلى التابعين" (الذهبي، 104/1).

فبالنسبة للصحابة (رضي الله عنهم) بجانب ما كان يروون من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالأخص تلك التي تتعلق بتفسير القرآن الكريم كانت لهم آراء تفسيرية لتلك الآيات التي لم يفسرها النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك بالنسبة

للتابعين، حيث كانوا يروون الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة (رضي الله عنهم)، وكانت لهم آراء تفسيرية لتك الآيات التي لم يفسرها النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفسرها الصحابة (رضي الله عنهم).

الخاتمة وأهم نتائج البحث

وفي الختام توصل البحث إلى جملة من النتائج والتي أهمها:

1- إنَّ التفسير بالرأي نشأ من قبل الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.
2- نشأ التفسير بالرأي مع نشأة التفسير بالأثر، ولم يكن متأخراً عنه.
3- كان الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون أكثر معاني آيات القرآن الكريم؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، وإذا أشكل عليهم شيء من القرآن سألوا النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك؛ لذلك كان نسبة التفسير بالرأي من قبل الصحابة زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن كثيراً.
4- توسع التفسير بالرأي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان الصحابة رضي الله عليهم يفسرون الآيات التي تحتاج إلى بيان مراد الله سبحانه وتعالى بعد أن ازداد عدد المسلمين.
5- تفاوتت مراتب الصحابة في فهم معاني القرآن، حيث لم يكونوا في درجة واحدة لفهم معاني القرآن الكريم.
6- أصبح تفسير الصحابة والتابعين بالرأي تفسيراً بالأثر بعد أن صاروا سلفاً للخلف؛ لأن ما فسره الصحابة من الآيات برأيهم رواه عنهم الخلف، فصار من المأثور، وهكذا بالنسبة لتفسير التابعين.

5- قائمة المصادر والمراجع

1- ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل، (1379هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (د.ط)، بيروت: دار المعرفة.
2- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، (1422هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط1)، بيروت: دار الكتب العلمية.
3- ابن منظور، أحمد بن مكرم، (1414ه)، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر.
4- أبو حيان لأندلسي، محمد بن يوسف (1420ه)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، (د.ط)، بيروت: دار الفكر،.
5- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله، (2001م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط؛ عادل مرشد، وآخرون، (ط1).
6- أيوب، حسن محمد، (2004م)، الحديث في علوم القرآن والحديث، (ط2)، الإسكندرية: دار السلام.
7- البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422ه)، المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (د.ط)، دار طوق النجاة.
8- الترمذي، محمد بن عيسى، (1998هـ)، سنن الترمذي - الجامع الكبير، (د.ط)، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
9- الجوهري، أبو نصر إسماعيل، (1987م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت: دار العلم للملاين.
10- الحاكم، أبو عبد الله محمد، (1990م)، المستدرك على الصحيحين، (ط1)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.
11- الدَّوْرَقي، أبو عبد الله أحمد، (1407هـ)، مسند سعد بن أبي وقاص، (ط1)، تحقيق: عامر حسن صبري، بيروت: دار البشائر الإسلامية.
12- البغا؛ ديب مستو، (1998 م)، الواضح في علوم القرآن، (ط2)، دمشق: دار الكلم الطيب؛ دار العلوم الإنسانية.
13- الذهبي، (د.س)، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، (د.ط)، القاهرة: مكتبة وهبة.
14- الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، (د. س)، مناهل العرفان في علوم القرآن، (ط3)، بيروت: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
15- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، (1957م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط1)، بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
16- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (1974م)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط1)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
17- صالح، صبحي، (2000م) مباحث في علوم القرآن، (ط24)، دار العلم للملاين،.
18- الطبري، محمد بن جرير، (2000م)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط1)، مؤسسة الرسالة.
19- الحاجي، محمد، (2007م)، موسوعة التفسير قبل عهد التدوين، (ط1)، دمشق: دار المكتبي.
20- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل، (د.س)، كتاب العين، (د.ط)، تحقيق: د. مهدي المخزومي؛ د. إبراهيم السامرائي.
21- القزويني، أحمد بن فارس، (1979م)، معجم مقاييس اللغة،(د.ط)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
22- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد، (1992م)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، (د.ط)، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا.
23- مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، (د.س)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (د.ط)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
24- مسلم والسرحان، مساعد آل جعفر؛ محي هلال، (1980م)، مناهج المفسرين، (ط1)، دار المعرفة.

25- النقراشي، محمود السيد علي، (1986م)، مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، (ط1)، مكتبة النهضة – القصيم – بريدة.
26- ياسين، حكمت بن بشير، (1999م)، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، (ط1)، المدينة المنورة: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة.

سەرهەڵدانی ڕاڤەکردنی قورئان بە بۆچوون
لێکۆڵینەوەیەکی هەڵسەنگێنەر

زۆراب ابراهیم مولود
فاکلتی پەروەردە- بەشی پەروەردەی ئایینی/ زانکۆی کۆیە
zorab.ibrahim@koyauniversity.org

پوختە

ئەم توێژینەوە باس لە سەرهەڵدانی ڕاڤەکردنی قورئان بە بۆچون دەکات، لە لایەن یاوەرانی پێغەمبەر، لە سەردەمی پێغەمبەر درووودی خوای لێبیت، لەبەر ئەوەی ئەو خوێندنەوانەی باس لە ڕێگاکانی ڕاڤەکەران دەکەن، ڕاڤەکردنی قورئانیان بۆ دوو قوتابخانە دابەش کردوە، قوتابخانەی ڕاڤەکردنی قورئان بە گێڕانەوەی – بە گێڕانەوەی وتەکانی پێغەمبەر درووودی خوای لێبیت، وە وتەکانی یاوەرەکانی وشوێنکەوتوانی یاوەرەکانی-، وقوتابخانەی رەڤەکردنی قورئان بە بۆچون، وباسیان لەوە کردوە کە سەرەتای سەرهەلدانی ڕاڤەکردنی قورئان تەنها بریتی بوە لە ڕاڤەکردنی بە گێرانەوە، وباسیان لەوە کردوە کە یاوەرەکانی پێغەمبەر درووودی خوای لێبیت خویان بدوور گرتوە لە ڕاڤەکردنی قورئان بە بۆچون، بەلام ئەوەی تێبینی دەکرێت ئەو بۆچونە پێویستی بە چاوپێداخشان هەیە، بۆیە ئەو توێژینەوە هاتوە ئەوە بسەلمێنێت کە سەرەتای سەرهەلدانی ڕاڤەکردنی قورئان تەنها بریتی نەبوە لە ڕاڤەکردنی بە گێرانەوە، بەڵکو گێردراوەتەوە کە یاوەرانی پێغەمبەر درودی خوالێبیت قورئانیان ڕاڤەکردوە بە بۆچون، ئەوان هەندێجار قورئانیان ڕاڤەدەرد بە پێی تێگەیشتنیان بۆ ئایەتەکانی قورئان، وپێغەمبەری خوا هیچ نارەزای دەرنەبڕیوە لەسەر ئەو کارەیان، بۆیە بە پێویستم زانی باس لە سەرهەلدانی ئەو ڕاڤەکردنە – ڕاڤەکردنی قورئان بە بۆچون – بکەین، وخوێندنەوەی ئەو ڕاڤەکردنەو شیکردنەوەیان، بەڵکو بگەینە ئەو ڕاستیە کە ڕاڤەکردنی بە بۆچون لە پاڵ ڕاڤەکردنی بە گێڕانەوە سەری هەڵداوە وە لە سەردەمی پێغەمبەر بوە، پاشان زاناکان گواستویانەوە لە ڕێگای گێڕانەوە وناوی لێنرا ڕاڤەکردنی بە گێرانەوە، بەڵام لە بنەڕەت ولە ئەسلدا ئەوەی لە پێغەمبەر بۆمان گێردراوەتوە ئەوەیان لە بنە ڕەتدا ڕاڤەکردنی بە گێڕانەوەیە چونکە قسەی پێغەمبەر وەحیە هەر وەک خوای گەورە دەفەرموێت: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: 3، 4]. مانای: ئەو لە خۆیەوە قسە ناکات بڵکو ئەوە وەحی خواەیە بۆی دێت.

وشەی دەسپێک: ڕاڤەکردن، بۆچوون، دروستبون، یاوەران، شوێنکەوتوان.

The Emergence of Qur’anic Interpretation through Opinion:
An Evaluative Study

Zorab Ibrahim Mawlood
Faculty of Education- Department of Religious Education/ Koya University
zorab.ibrahim@koyauniversity.org

Abstract

The present research tackles the emergence of [Qur’anic] interpretation through opinion by the Companions of the Prophet (May Allah be pleased with them, during the Age of the Prophet (Peace be upon him). As the studies that dealt with the approaches of the interpreters divided the interpretation to the two schools: of interpretation through impact, and interpretation trough opinions. They pointed out that the beginning of the advent of interpretation was limited to the interpretation by impact through narration, and that the Companions (May Allah be pleased with them) avoided the interpretation of the Qur'an by their opinion. But it's worth noting that this issue needs to be reviewed.
This research is an attempt to prove and reveal that the signs of interpretation were not limited to the interpretation by impact through narration. Rather, the interpretation was handed down to the Prophet's Companions, as they sometimes interpreted the Qur'an according to their understanding of the verse and the Prophet, peace be upon him did not object to that. Accordingly, I deemed it necessary to examine the emergence of such Qur’anic interpretation, that is, interpretation by opinion; and also to scrutinize and analyze the issue of interpretation; hoping to reach at the conclusion that interpretation by opinion emerged side by side with the interpretation by impact at the age of the Prophet, Peace be upon him. Later, the Qur’anic scholars and interpreters narrated that interpretation and was named ‘interpretation through narration’. But, originally, what was quoted and narrated from our Prophet, peace be upon him, only that is called ‘interpretation through narration’, because everything said by the Prophet, peace be upon him was Revelation [from Allah the Almighty], as the Almighty recites: (Nor does he speak out of desire. (3). Indeed, it is not except a Revelation which is revealed, (4). [Sura 53: AN-NAJM (THE STAR)].
Keywords: Interpretation, Opinion, Emergence, Companions (of the Prophet, PBUH), followers of the Companions (May Allah be pleased with them all).